اجتهادات
الموسيقى .. والطاقة العلاجية

لفت انتباهى حديث الموسيقار الصينى لانج لانج عن وجود طاقة علاجية فى الموسيقى. كان لانج يتحدث عن شغفه الشديد بموسيقى الموسيقار الألمانى الكبير يوهان باخ التى يرى أن فيها طاقة علاجية أكبر مما تختزنه أعمال غيره من الموسيقيين الكبار. ليس جديدًا المعنى المتضمن فى حديث لانج عبر عن هذا المعنى قبله بعض محبى الموسيقى. وهو نفسه المعنى الذى قصدته سيدة لبنانية واجهت صدمة الانفجار فى مرفأ بيروت بالعزف على البيانو، على النحو الذى ناقشتُه فى اجتهادات 9 سبتمبر الحالى «هذا ما تفعله الموسيقى». ولم يبتعد الشاعر الكبير جبران خليل جبران عن هذا المعنى عندما كتب فى قصيدة أعطنى الناى وغنى إن الغناء عدل القلوب. ولكن لانج صك تعبيرًا عبقريًا عن هذا المعنى، وهو أن الموسيقى تختزن طاقة علاجية تساعد من يُنصت إليها فى أوقات الشدة. وسواء صح اعتقاده فى أن موسيقى باخ هى الأكثر فائدة فى هذا المجال، أم كان مرد هذا الاعتقاد شغفه بموسيقار عظيم يُعد من أهم الموسيقيين الكبار فى القرن الثامن عشر، فقد نجح فى التعبير عن جوهر معنى يعرفه محبو الموسيقى. ولعل أكثر من يعرفونه أولئك الذين يشعرون بأن فى أوتار آلات موسيقية علاجًا وشفاءً من جراح، ويحسون بأن أرواحهم تسمو عندما تُنصت للعزف عليها، وأن قلوبهم تنشرح عندما يتفاعلون مع هذا العزف، فى الوقت الذى يُحلق بخيالهم 180 درجة وكأنه يطير بجناحين. وفضلاً عن براعة لانج فى اختيار التعبير الدال على ما فى الموسيقى من شفاء للقلوب والنفوس، نجد فى موسيقاه ما يؤكد هذا

المعنى. عزفه شديد التأثير فى من يُنصتون إليه، خاصةً عندما يعزف إحدى مقطوعات باخ التى يفوق غيره فى عزفها، ربما لأن قلبه وعقله معًا يُحركان أنامله على لوحة البيانو. ولعل هذا يفسر نجاحه فى الدور الذى قام به عندما استعانت به منظمة الأمم المتحدة للطفولة «يونيسيف» كسفير خير لها، للمساعدة فى توعية الأطفال فى بلدان عدة بمبادرة التعليم أولاً. كما قام بدور معتبر فى العمل من أجل تعزيز التواصل بين الثقافات المختلفة فى العالم، فى إطار إيمانه بأن الموسيقى تستطيع بصفتها «لغة عالمية» المساهمة فى تجسير الفجوات بين هذه الثقافات.